المشوق

إلى الحور العين

تأليف

محمد شومان الرملي

المشوق

إلى الحور العين

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد، فقد ذكر الله عز وجل الحور العين في كتابه

الكريم، وكذلك النبي ﷺ في حديثه الشريف، ووصفهن سبحانه بأحسن الصفات، من جمال الخَلْق والخُلُق، وطهارة الظاهر والباطن، ترغيبًا لعباده في طاعته وتقواه، التي من جزائها فوز العبد بتلك الحسناوات الجميلات، الأزواج المطهرات، في نعيم مقيم، ومقام أمين، لا الثياب فيه تبلى، ولا الشباب ثَم يفنى، ولا يبغي من فيه عنه حولًا.

الحور عين، بالنغم يغنين، هم وأزواجهن في حبرة وسرور، عليهم كأس اللذة تدور، مزاجها التسنيم والزنجبيل والكافور.

في جنة عالية غالية، قطوفها قريبة دانية. الظل ممدود، والماء مسكوب، والفاكهة كثيرة مما يتخيرون، لا تنقطع ولا تمتنع، ولحم طير مما يشتهون.

موضع سوط في ذلك النعيم خير من الدنيا وما فيها.

لا خوف هناك ولا حزن ولا وصب، وكل ما تشتهيه الأنفس تناله بلا تعب ولا نصب.

خلد فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وملك كبير لا يفنى، ورضوان من الله أكبر.

فهل من مشمر؟! هل من خاطب؟! هل من باذل للمهر؟! أين الهمم العالية؟! أين النفوس السامية؟! أين طلاب الآخرة؟! ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

OOOOO

فصل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ * فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ * كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥١-٥٦].

قال ابن القيم(١): الحور جمع حَوْراء، وهي المرأة الشابة الحسناء، الجميلة البيضاء، شديدة سواد العَيْن. والعِين: اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة.

وقال(٢): العِين جمع عَيناء، وهي المرأة الواسعة العَيْن، مع شدة سوادها، وصفاء بياضها، وطول أهدابها وسوادها.

وقال الشوكاني(٣): الحور جمع حَوْراء، وهي البيضاء. والعِين: جمع عَيناء، وهي الواسعة العَيْن.

---

(١) «حادي الأرواح» (ص ١٥٠ و١٥١).

(٢) «روضة المحبين» (ص ٢٤٣).

(٣) «فتح القدير» (٤/٥٧٩).

ولابن القيم[1]:

كملت خلائقها وأُكْمِل حسنُها

كالبدر ليلَ السِّتِّ بعد ثمانِ

والشمس تجري في محاسن وجهها

والليلُ تحت ذوائب الأغصانِ

فيَظلُّ يَعجب وهو موضعُ ذاك من

ليلٍ وشمسٍ كيف يجتمعانِ

حُمْر الخدود ثغورُهن لآلئٌ

سود العيون فواتر الأجفانِ

والبرق يبدو حين يَبْسِم ثَغرُها

فيضيء سقفُ القصر بالجدرانِ[2]

---

(١) «القصيدة النونية» (ص ٢٣٤ و٢٣٥)، وكل ما سيأتي من شعر لم يعز فهو فيها (ص ٢٣١-٢٣٨)، أو في «روضة المحبين» (ص ٢٥٤-٢٥٨).

(٢) كأنه يشير إلى ما أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٧٤/٦) وغيرُه عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «سطع نور في الجنة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا هو من ثَغْر حَوراء =

ريانــة الأعطــاف مــن مــاء الشــبا

ب فغصنها بالماء ذو جريانِ

فالورد والتفاح والرمان في

غصنٍ تعالى غارسُ البستانِ

ooooo

= ضحكت في وجه زوجها». وهو حديث موضوع، كما في «ضعيف الجامع» (٣٢٦٦).

ثم تأكد أنه يريد هذا الحديث لما وجدت له هذين البيتين:

ولقد رُوِينا أن برقًا ساطعًا   يبدو فيَسأل عنه مَنْ بجنانِ

فيُقال هذا ضَوْء ثَغْرٍ ضاحكٍ   في الجنة العليا كما تَرَيانِ

فصل

ومن صفات الحور العين: عفتُهن وقَصْر طَرْفهن الجميل على أزواجهن، فلا يطمحن إلى غيرهم، وهذا من تكميل لذة أزواجهن وسعادتهم بهن.

قال الله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [الرحمن:٥٦].

وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ [ص:٥٢].

وقال سبحانه: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ [الصافات:٤٨].

ومعنى (قاصرات الطرف): أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن. و(عين): أي حسان الأعين. فوصف عيونهن بالحسن والعفة[١].

قال ابن القيم[٢]: والمفسرون كلهم على أن المعنى: قَصَرْنَ طَرْفَهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/٤).

(٢) «حادي الأرواح» (ص ١٥٢).

وقال:

ورأَوْا على بُعدٍ خيامًا مشرفا
تٍ مشرقاتِ النور والبرهانِ

فتيمموا تلك الخيام فآنسوا
فيهن أقمارًا بلا نقصانِ

من قاصرات الطرف لا تبغي سوى
محبوبها من سائر الشبانِ

قَصَرَتْ عليه طَرْفَها من حسنهِ
والطَرْفُ منه مُطلقٌ بأمانِ

يَحار منه الطَرْفُ في الحسن الذي
قد أُعْطِيَتْ فالطَرْفُ كالحيرانِ

والطَرْفُ يشرب من كؤوس جمالها
فتراه مثل الشارب النَّشوانِ

○○○○○

فصل

ومن صفاتهن: الطهارة من الحيض والنفاس والبول والغائط وكل ما يكون في نساء الدنيا من قذر. وكذلك طهارة بواطنهن من الغَيْرة والكيد وكل ما يعتري البشر من الأخلاق المذمومة.

قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

وقال تبارك اسمه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء: ٥٧].

وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

قال ابن القيم[1]: فتأمل جلالة المُبَشِّر ومنزلته وصدقه، وعظمة من أرسله إليك بهذه البِشارة، وقَدْرَ ما بشرك به وضَمِنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره.

وجمع سبحانه في هذه البِشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة، ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه.

والأزواج: جمع زوج، والمرأة زوج للرجل، وهو زوجها، هذا هو الأفصح، وهو لغة قريش، وبها نزل القرآن.

قال: والمطهرة: من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق، وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة

---

(١) «حادي الأرواح» (ص ١٤٩).

والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبَذاء، وطهر طَرْفها من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يَعرض لها دنس أو وسخ[1].

OOOOO

---

(١) وانظر ـ إن شئت ـ في معنى (أزواج مطهرة) «تفسير ابن كثير» (١/٦٣ و٣٥٢ و٥١٤).

فصل

ومن صفاتهن: أنهن جمعن المحاسن كلها، ظاهرًا وباطنًا، خَلْقًا وخُلُقًا، كما قال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠].

أي: خيرات الأخلاق، حسان الوجوه. كذا قال الطبري(١). وهو قول الجمهور(٢).

وقال الشوكاني(٣): قال الواحدي: قال المفسرون: الخيرات: النساء، خيرات الأخلاق، حسان الوجوه.

قلت: ويؤيده (أعني أن المقصود بالخيرات: النساء) ما ثبت في الحديث ـ وسيأتي لاحقًا ـ أن من غناء الحور: «نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحِسَانْ ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامْ».

وقال ابن القيم واصفًا تلك الخيرات الحسان:

---

(١) «تفسيره» (٩١/٢٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢٨٠/٤).

(٣) «فتح القدير» (١٤٣/٥).

ولله كم من خَيْرَة إن تبسمتْ

أضاء لها نور من الفجر أعظمُ

فيـا لَـذة الأبصـار إن هـي أقبلـتْ

ويا لَـــذة الأسمـــاع حـــين تَكَلَـــمُ

ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنتْ

ويا خجلـة الفجـرين حـين تَبَسَّـمُ

فـإن كنـت ذا قلـب عليـل بحبهـا

فلـم يبـق إلا وصـلها لـك مَـرهمُ

ولا سـيّما في لثمهـا عنـد ضـمها

وقد صار منها تحت جيدك مِعصمُ

تـراه إذا أبـدت لـه حسـن وجههـا

يَلَـــذ بـــه قبـــل الوصـــال ويَـــنعمُ

تَفَكَّـهُ منهـا العـينُ عنـد اجتلائهـا

فواكهَ شتى طلعها ليس يُعدَمُ

عناقــدَ مــن كــرمٍ[1] وتفــاحَ جنــةٍ

ورمــانَ أغصــانٍ بــه القلــب مُغــرمُ

وللــورد مــا قــد أُلْبِسَــتْه خــدودُها

وللخمـر مـا قـد ضمه الريـق والفـمُ

تَقَسَّمَ منهـا الحسـنُ في جَمْعٍ واحـدٍ

فيــا عجبًــا مــن واحــد يَتقســمُ

لهـا فـرق شـتى مـن الحسـن أجمعـتْ

بجملتهـــا أن السُّـــلُوَّ محـــرمُ

تُــذَكِّر بالــرحمن مــن هــو ناظــرٌ

فينطـــق بالتســـبيح لا يَتلعـــثمُ

(١) قد ثبت عن النبي ﷺ النهي عن تسمية العنب كرمًا، ففي «صحيح البخاري» (١٠/ ٥٦٤ ـ فتح): عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لاَ تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ، وَلاَ تَقُولُوا: خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ». وفي رواية (١٠/ ٥٦٦ ـ فتح): «وَيَقُولُونَ: الكَرْمُ. إِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ». والحديث في «صحيح مسلم» (٢٢٤٧)، بألفاظ عدة، منها: «لَا تَقُولُوا: كَرْمٌ. فَإِنَّ الْكَرْمَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ».

إذا قابلَـتْ جـيش الهمـوم بوجههـا

تولى على أعقابه الجيش يُهزمُ

ooooo

فصل

ومن صفاتهن: صفاء لون أجسادهن وبياضها، وكونها في غاية الحسن والجمال والنعومة والرقة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، لَا يَسْقَمُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبْصُقُونَ، آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَوَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الأَلُوَّةُ؛ [الْأَلَنْجُوجُ[1]: عُود الطِّيب]، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ»[2].

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٣٦٧/٦): هو العُود الذي يُتَبَخَّرُ به، ولفظ الْأَلَنْجُوجِ هنا تفسير الْأَلُوَّةِ، والعُود تفسير التفسير.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٨/٦ و٣١٩ و٣٦٢ ـ فتح)، والزيادة له، ومسلم (٢٨٣٤)، وغيرهما.

وفي لفظ: «لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً، يَبْدُو مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَائِهَا»[1].

وشبههن الله باللؤلؤ المكنون، فقال:

﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة:٢٢-٢٣].

قال الطبري[2]: هن في صفاء بياضهن وحسنهن كاللؤلؤ المكنون الذي قد صِينَ في كِنٍّ[3].

وقال ابن كثير[4]: أي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه.

وشبههن سبحانه بالبَيض المكنون، فقال:

﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصافات:٤٨-٤٩].

قال الطبري[5] بعد أن ذكر أقوالًا في معنى (بَيض

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٢٢)، وقال: «حسن صحيح»، و(٢٥٣٥)، وقال: «حسن». وصححه الألباني بشواهده في «الصحيحة» (١٧٣٦).

(٢) «جامع البيان» (١٠٢/٢٧).

(٣) هو ما يَرُدّ الحر والبرد من الأبنية والمساكن. وقد كَنَنْتُه أَكُنُّه كَنًّا، والاسم: الكِنُّ. «نهاية».

(٤) «تفسيره» (٢٧٨/٤).

(٥) «جامع البيان» (٣٧/٢٣).

مكنون): وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شُبِّهْنَ في بياضهن، وأنهن لم يَمَسَّهن قبل أزواجهن إنس ولا جان، ببياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة المُلْبَسة المُحّ[1] قبل أن تَمَسَّه يَدٌ أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون، فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسها، والأيدي تباشرها، والعش يلقاها. اهـ.

وشبههن سبحانه وتعالى بالياقوت والمرجان، فقال:

﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن:٥٨].

أي: كالياقوت في صفائه، والمرجان في بياضه[2].

وقال الشوكاني[3]: شبههن سبحانه في صفاء اللون مع حمرته بالياقوت والمرجان.

وقال ابن القيم[4]: قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان.

---

(١) المُحّ: خالص كل شيء، وما في جوف البيضة من صفرة أو من صفرة وبياض. «وسيط».

(٢) كما في «تفسير الطبري» وغيره.

(٣) «فتح القدير» (١٤٢/٥).

(٤) «حادي الأرواح» (ص ١٥٣).

وقال[1]: فخذ من اللؤلؤ صفاء لونه وحسن بياضه ونعومة ملمسه، وخذ من البيض المكنون ـ وهو المصون الذي لم تنله الأيدي ـ اعتدال بياضه وشَوْبه بما يُحَسِّنه من قليل صفرة، بخلاف الأبيض الأمهق المتجاوز في البياض، وخذ من الياقوت والمرجان حسن لونه في صفائه وإشرابه بيسير من الحمرة.

وقال:

والساق مثل العاج ملموم بهِ
مُخُّ العظام تناله العينانِ
والريح مسك والجسوم نواعمٌ
واللون كالياقوتِ والمرجانِ

OOOOO

(١) «روضة المحبين» (ص ٢٤٥).

فصل

ومن صفاتهن: حسن الصدور ونعومتها، بثُدِيٍّ تفلّكتْ، كأنها رمان من أحس الرمان.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا *حَدَآئِقَ وَأَعْنَبًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣١-٣٣].

ومعنى (كواعب أترابًا): أي نواهد في سن واحدة. كما قال الطبري وغيره[١].

وقال ابن كثير[٢]: قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: (كواعب): أي نواهد. يَعنون أن ثُدُيَّهن نواهدُ لم يَتَدَلَّيْنَ؛ لأنهن أبكارٌ، عُرُبٌ، أترابٌ، أي: في سن واحدة.

وقال ابن القيم[٣]:(كواعب)، وهو جمع كاعب، وهي المرأة التي قد تَكَعَّب ثَديُها واستدار، ولم يَتَدَلَّ إلى أسفل،

---

(١) «جامع البيان» (١٢/٣٠).

(٢) «تفسيره» (٤/ ٤٦٥).

(٣) «روضة المحبين» (ص٢٤٣).

وهذا من أحسن خَلْق النساء، وهو ملازم لسن الشباب.
وقال:

والقَدّ[1] منها كالقضيب اللَّدْنِ في
حُسْن القَوَام كأوسط القضبانِ

في مَغرس كالعاج تحسب أنهُ
عالي النَّقا[2] أو واحدُ الكثبانِ

لا الظهرُ يلحقها وليس ثُدِيُّها
بلَواحقٍ للبطنِ أو بَدْوانِ

لكـــنهن كواعـــبٌ ونواهـــدٌ
فثُـــدُيُّهن كـــألطف الرمـــانِ

والجِيــد ذو طــول وحُسْــنٍ في بيــا
ضٍ واعتــدالٍ لــيس ذا نُكــرانِ

OOOOO

---

(١) القَدّ: القامة أو القَوَام. والقضيب اللَّدْن: الغصن اللَّيِّن.

(٢) النَّقَا: الكثيبُ من الرَّمْل.

فصل

ومن صفاتهن: أنهن أبكارٌ لم يُفْضَضْنَ، وشاباتٌ على سن واحدة لا يَهرمن، وغَنِجاتٌ مغنوجات متحببات لأزواجهن على كل حال، وخاصة حال القرب والوصال، فكملت بهذه الصفات محاسنهن.

وكملت لَذة الرجل بكونهن أبكارًا؛ إذ أن لَذته بوَطْء من لم يطأها أحد سواه أعظم وأكبر، وهذا ظاهر[1].

وكملت لَذته أيضًا بكونهن شابات، لا عجائز فلا يُشْتَهَيْن، ولا صغار فلا يُطأن.

هذا بالإضافة إلى كونهن حسنات التبعل.

وبذا يتم له أحسن وصال وألذه.

قال الكريم المنان سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٨].

---

(١) انظر ـ إن شئت ـ «توضيح المقاصد/ شرح نونية ابن القيم» (٢/٥٥٥).

فالأبكار: العذارى. كما قال سبحانه: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦ و٧٤].

وأما العُرُب: فالغَنِجات المتحببات إلى أزواجهن بحسن التبعل، وهن جمع، واحدتهن عَروب[١].

قال ابن القيم[٢]: العُرُب: جمع عَروب، وهي التي جمعت إلى حلاوة الصورة حُسْنَ التأني والتبعل والتحبب إلى الزوج، بدَلِّها وحديثها وحلاوة منطقها وحسن حركتها.

وقال:

وهي العَروب بشكلها وبدَلِّها
وتحبُّبٍ للزوج كل أوانِ
وهي التي عند الجماع تزيد في
حركاتها للعين والأذنانِ
لطفًا وحُسْنَ تَبَعُّلٍ وتَغَنُّجٍ
وتحببٍ تفسيرُ ذي العرفانِ

---

(١) «تفسير الطبري» (١١٠/٢٧)، و«تفسير ابن كثير» (٢٩٢/٤)، و«تفسير الشوكاني» (١٥٣/٥).

(٢) «روضة المحبين» (ص ٢٤٥). وانظر ـ إن شئت ـ «حادي الأرواح» (ص ١٥٦).

تلـك الحـلاوة والملاحـة أوجبـا

إطلاق هـذا اللفـظ وَضْـعَ لسـانِ

فملاحة التصـوير قبـل غُناجهـا

هي أول وهي المحــــل الثـــاني

فإذا هما اجتمعا لصَـبٍّ وامِـقٍ[1]

بلغــتْ بــه الــلذاتُ كلَّ مــكانِ

وأما الأتراب: فهن المستويات على سن واحدة، وهي جمع تِرْب[2].

قال ابن القيم[3]: والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن: أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن، ولا ولائد لا يُطِقْنَ الوَطء، بخلاف الذكور فان فيهم الولدان وهم الخدم.

وقال:

---

(١) الصَّب: العاشق. والوامق: المحب.

(٢) انظر «تفسير الطبري» (١٠٩/٢٧).

(٣) «حادي الأرواح» (ص ١٥٢).

أتـــرابٌ سِـــنٌّ واحـــدٌ متماثـــلٌ

سِـــنُّ الشـــباب لأجمـــلِ الشـــبانِ

بِكْرٌ فلم يأخذ بَكَارتها سـوى الـــ

ـمحبوبِ مــن إنـس ولا مــن جـانِ

OOOOO

فصل

ومن صفات الحور العين: أن الله عز وجل وهبهن أصواتًا جميلة، لم تسمع الخلائق بمثلها قط.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ(١):

«إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ:

نَحْـــنُ الْخَـــيْرَاتُ الْحِسَـــانْ
أَزْوَاجُ قَـــــوْمٍ كِـــــرَامْ
يَنْظُـــرْنَ بِقُـــرَّةِ أَعْيَـــانْ

وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ:

نَحْـنُ الْخَـالِدَاتُ فَـلَا يَمُتْنَـهْ

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير» (٧٣٤/٣٥/٢) بلفظه، وفي «الأوسط» (٤٩١٧/١٤٩/٥)، وغيرُه. وهو في «صحيح الجامع» (١٥٥٧). وفي «صحيح الجامع» (١٥٩٨) من حديث أنس رضي الله عنه: «إِنَّ الْحُورَ لَتُغَنِّينَ فِي الْجَنَّةِ: نَحْنُ الْحُورُ الْحِسَانْ، خُبِّئْنَا لِأَزْوَاجٍ كِرَامْ».

نَحْــنُ الْآمِنَــاتُ فَــلَا يَخَفْنَــهْ

نَحْــنُ الْمُقِيمَــاتُ فَــلَا يَظْعَنَّــهْ

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ * ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٨-٧٠].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم:١٥].

ومعنى (في روضة يحبرون)؛ أي: في الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يُسرون، ويلذّون بالسماع وطيب العيش الهنيّ. قاله الطبري[١].

وقال ابن كثير[٢]: قال مجاهد وقتادة: يُنَعَّمون. وقال يحي بن أبي كثير: يعني سماع الغناء. والحَبْرة أعم من هذا كله.

---

(١) «تفسيره» (١٩/٢١).

(٢) «تفسيره» (٣/٤٢٨).

وقال ابن القيم مشوقًا إلى سماع غناء الحور العين، محذرًا من سماع الموسيقى والألحان، وغناء أتباع الشيطان:

واهًـا لذيّـاك السـماع وطيبـهِ

مـن مثـل أقمـارٍ على أغصـانِ

واهًا لذيّاك السـماع فكـم بـهِ

للقلـب مـن طَـرَب ومـن أشـجانِ

واهًا لذيّاك السـماع ولـم أقـلْ

ذيّـاك تصـغيرًا له بلسـانِ

ما ظنُّ سـامعِه بصـوتٍ أطيـبِ الـ

أصـوات مـن حـور الجنـان حسـانِ

نَزِّهْ فـؤادك إن أردت سـماع ذَيـّ

ـاكَ الغنـاءِ عـن هـذه الألحـانِ

لا تُـؤْثِرِ الأدنى على الأعلى فتُحـ

ـرمْ ذا وذا يـا ذِلَّـةَ الحرمـانِ

إن اختيـارك للسـماع النـازل الـــ

أدنى على الأعلى مـــن النقصـــانِ

والله إن سـماعهم في القلـب والـــ

إيمـــان مثـــلُ السُّـــم في الأبـــدانِ

والله مــا انفــك الذي هــو دَأْبُــهُ

أبـــدًا مـــن الإشراك بـــالرحمنِ

فالقلب بيت الـرب[1] جـل جـلالهُ

حبًّـــا وإخلاصًـــا مـــع الإحســـانِ

فـــإذا تعلـــق بالســـماع أصَـــارَهُ

عبـــدًا لـــكل فلانـــة وفـــلانِ

واللهـــو خَـــفَّ علـــيهم لمـــا رأَوْا

مـــا فيـــه مـــن طَـــرَبٍ ومـــن ألحـــانِ

(١) ورد هذا (أعني: القلب بيت الرب) منسوبًا إلى النبي ﷺ، ولا أصل له. كما في «المقاصد الحسنة» وغيره. وقال في «أسنى المطالب»: «لا أصل له. بل هو من كلام المتصوفة».

ي النقصان كالـــ

ــــجهال والصـــبيان والنســـوانِ

قلُّهـــم مـــن الـــ

ـعقل الصحيح فسَـلْ أخـا العرفـانِ

لســت كلَـذَّةِ الـــ

أبــــرار في عقـــــلٍ ولا قــــرآنِ

ومن قوله في ذم أهل السماع الشيطاني[1]:

تُـلِيَ الكتـابُ فـأطرقوا لا خِيفَـةً
لكنــــه إطــــراقُ سَــــاهٍ لاهي

وأتى الغنــاء فكالذبــاب تراقصــوا
والله مــا رقصــوا مــن أجــل اللهِ

دُفٌّ ومِزمـــارٌ ونَغمـــةُ شـــادٍ
فمــتى شــهدْتَ عبــادةً بمــلاهي

ثَقُــلَ الكتــابُ علــيهم لمــا رَأَوْا

(١) «مدارج السالكين» (١/٤٨٧).

تقييــــــدَه بـــــأوامرٍ ونـــــــواهي

ســمعوا له رعــدًا وبرقًــا إذ حــوى

زجــرًا وتخويفًـــا بفِعْـــلِ منـــاهي

ورأَوْهُ أعظــمَ قــاطعٍ للــنفس عــن

شـــهواتها يـــا ويحهـــا المتنـــاهي

وأتى الســـماع موافقًـــا أغراضَـــها

فلأجـــل ذاك غـــدا عظـــيم الجـــاهِ

أين المساعدُ للهوى من قاطعٍ

أسبابَه عند الجهول الساهي

إن لـم يَكُـنْ خمـرَ الجسـومِ فإنـهُ

خمـــرُ العقـــولِ مماثـــلٌ ومضـــاهي

فـانظر إلى النَّشْـوانِ عنـد شرابـهِ

وانظـر إلى النَّشْـوانِ عنـد مـلاهي

وانظـــر إلى تمزيـــق ذا أثوابَـــهُ

مــن بعــد تمزيــق الفــؤاد الــلاهي

واحكم فأيُّ الخمرتين أَحقُّ بالتَّــ

ـــــــحريم والتـــــأثيم عنـــــد اللَّهِ

OOOOO

فصل

هذا وصف تلك البدور الحسان، وأما وصالهن فهو أشهى وألذ وصال، وهو غاية ما يراد منهن، وكيف لا يكون أشهى وصال؟!! وأنت تضم عذراء لم تُمَسّ من قبل، بيضاء بحمرة، ناعمة منعمة، كأنها ياقوتة أو مرجانة، تنظر منها إلى وجهٍ كالبدر التام، بعينين سوداوين واسعتين، وصدر بثديين متكعبين، شهيين جميلين لذيذين، وجسد جمع المحاسن، وضم المفاتن، لم تر عين مثل جمالها، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر.

هذا بالإضافة إلى لذة ما هنالك من العَروب إذا غنجت وتدللت، وتلطفت وتحركت!!

فجِدّ أيها الخاطب في جمع المهر، وسابق إلى خيمتك للقاء محبوبتك.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٨/٦٢٤ ـ فتح)، وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٨٣٨) بحرفه، وغيرهما.

ولابن القيم:

وخيامهــــا منصـــــوبة برياضـــــها
وشـــــواطئ الأنهـــار ذي الجريـــانِ

ما في الخيـام سـوى الـتي لـو قابلـتْ
للنَـــيِّرَيْن لقلـــتَ مُنكســـــفانِ

لله هاتِيـــك الخيـــام فكـــم بهـــا
للقلــب مــن عُلَــقٍ ومــن أشــجانِ

فيهن حـور قـاصراتُ الطـرف خيــ
ــراتٌ حســانٌ هــن خــيرُ حســانِ

خــيراتُ أخــلاقٍ حســـانٌ أَوْجُهًـــا
فالحســــنُ والإحســــانُ متفقـــانِ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أَنَصِلُ إلى نسائنا في الجنة؟ قال:

«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءَ»(١).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢/٢٠٦/٣٧٣) وغيره. وهو في «الصحيحة» (٣٦٧).

وعنه رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه قيل له: أَنَطَأُ في الجنة؟ قال:

«نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، دَحْمًا دَحْمًا[1]، فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا»[2].

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«يُعْطَى الرَّجُلُ فِي الْجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا مِنَ النِّسَاءِ». قيل: يا رسول الله، ومَنْ يُطيق ذلك؟! قال: «يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةٍ»[3].

قال ابن القيم[4]: وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام، فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في

---

(١) (دَحْمًا دَحْمًا)، قال ابن الأثير في «النهاية»: هو النكاح والوَطء بدفع وإزعاج. وانتصابه بفعل مضمر؛ أي: يَدحمون دَحْمًا. والتكرير للتأكيد، وهو بمنزلة قولك: لقيتهم رجلًا رجلًا، أي: دَحْمًا بعد دَحْم.

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٦٣٣ و٢٦٣٤ ـ موارد) وغيره، وهو في «الصحيحة» (٣٣٥١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٣٦)، وابن حبان (٢٦٣٥ ـ موارد)، وغيرهما، وصححه الألباني.

(٤) «حادي الأرواح» (ص ١٦٦).

الآخرة، ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الآخِرَةِ»[1]. فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حُرِمَها هناك.

وقال:

وأَعَفُّهم في هــذه الدنيــا هــو الـــ
أقــوى هنــاك لزهــده في الفــاني

فاجمع قُواك لما هناك وغمضِ الـــ
ـــعينين واصــبر ســاعةً لزمــانِ

مــا ههنــا والله مــا يَسْــوَى قُــلَا
مةَ[2] ظُفْرٍ واحــدةٍ تُــرَى بجنــانِ

---

(١) من قوله: «من شرب الخمر في الدنيا» إلى هنا كله ثبت عن النبي ﷺ في «الصحيحين» أو أحدهما، بلفظه أو معناه.

(٢) قُلَامة الظُّفْر: ما قُطِعَ من طَرَفه. ولا يُساوي قُلَامةَ ظُفْرٍ: أي هو حقير لا قيمة له.

فصل

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٥-٥٦].

قال ابن كثير(١): قال عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والأعمش، وسليمان التيمي، والأوزاعي في قوله: (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)، قالوا: شغلهم افتضاض الأبكار.

قال الشوكاني(٢): والمعنى إن أصحاب الجنة في ذلك اليوم في شغل بما هم فيه من اللذات التي هي ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، عن الاهتمام بأمر الكفار، ومصيرهم إلى النار، وإن كانوا من قرابتهم. والأولى عدم تخصيص الشغل بشيء معين.

وقال ابن القيم:

---

(١) «تفسيره» (٣/٥٧٥).

(٢) «فتح القدير» (٤/٣٧٥-٣٧٦).

ولقد رُوِينا أن شغلهم الذي
قــد جــاء في يــس دون بيـــانِ

شغل العروس بعرسه مـن بعـد مـا
عبِثَتْ بـه الأشـواق طـولَ زمـانِ

بـــالله لا تســـألْه عـــن أشـــغالهِ
تلـــك الليـــالي شـــأنه ذو شـــانِ

واضرب لهم مثلًا بصَـبٍ غاب عـن
محبوبـــه في شاســـع البـــلدانِ

والشـــوق يزعجـــه إليـــه ومـــا لهُ
بلقائـــه ســـببٌ مـــن الإمـــكانِ

وافى إليـــه بعـــد طـــول مغيبـــهِ
عنـــه وصـــار الوصـــل ذا إمـــكانِ

أتلومـــه أن صـــار ذا شـــغل بـــهِ
لا والذي أعطـــى بـــلا حســـبانِ

OOOOO

فصل

واعلم أن شأن الحور العين، ورفعة قدرهن، وعظمة جمالهن، فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال.

فأعظِم بذلك الجمال الذي لا يبلى ولا يزول، ولا ينقص بل يزداد ويدوم، كما جاء في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»(١).

وأعظِم بحسن غَنِجَة شَكِلَة لو اطلعتْ لملأتْ ما بين الجنة والأرض من طيب ريحها، ولأضاءت ما بينهما من نورها، وإن خمارها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، كما روى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٣).

أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ:

«لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ ـ يعني: سَوْطَه ـ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(١).

فيا بائعًا تلك الجميلات الحسان، أمثال الياقوت والمرجان، من أجل نساء قبيحات سافرات جمالهن الأصباغ والألوان، لقد غَبِنْت والله أعظم الغَبْن، وسلكت مسالك الجهال.

وأما الجميلات منهن، فإن لم يَتَّقِين الله تعالى ويُعِنّ على طريق الآخرة فلن يَشفع حُسن خَلْقهن لسوء خُلُقهن.

وأما المؤمنات الحافظات أوامرَ الله عز وجل فهن لعمر الله مراد المتقين، وبغية المؤمنين، وهن قلة في هذا الزمان، فلله درهن! وعليه أجرهن!

---

(١) أخرجه البخاري (٦/١٥ ـ فتح)، ومسلم (١٨٨٠) مختصرًا، وغيرهما.

ولابن القيم:

يا مُطْلِقَ الطَرْف المعذب في الأُلى

جُرِّدن عن حسن وعن إحســانِ

لا تسبينّك صورة مــن تحتهــا الدَّ

اء الدوي تبوء بالخسرانِ

قَبُحَــتْ خلائقُهــا وقَــبُح فعلُهــا

شــــيطانةٌ في صـــــورة الإنســـــانِ

تنقـــاد للأنـــذال والأرذالُ هـــم

أكْفاؤها من دون ذي الإحســانِ

مــا ثَــمّ مــن ديــن ولا عقــل ولا

خُلُــق ولا خــوف مــن الــرحمنِ

فجمالها قشر رقيق تحتهُ

ما شئت من عيب ومن نقصــانِ

أمـــا جمـــيلات الوجـــوه فخائنـــا

تٌ بعـــولتَهن وهُـــنّ للأخـــدانِ

والحافظات الغيـب مـنهن الــتي
قد أصبحت فردًا مــن النســوانِ
فانظر مصارع مــن يليــك ومَــنْ
مِنْ قبلُ من شِــيبٍ ومــن شــبانِ
وارغب بعقلك أن تبيع العاليَ الــ
ـباقي بذا الأدنى الذي هو فانِ
إن كان قــد أعيــاك خَــوْدٌ مثلمــا
تـــبغي ولـــم تظفـــر إلى ذا الآنِ
فاخطِب من الرحمن خَوْدًا ثم قَــدِّ
مْ مهرها ما دمت ذا إمكانِ
ذاك النكاح عليك أيسرُ إنْ
لك نسبة للعلم والإيمانِ
والله لــم تخــرج إلى الدنيــا لِــلَذّ
ةِ عيشـــها أو للحطـــام الفـــاني

لكن خرجت لكي تُعِدّ الزاد للـــ

أخرى فجئت بأقبح الخسرانِ

أهملت جمع الزاد حتى فـات بـل

فات الذي ألهاك عـن ذا الشـانِ

والله لــو أنّ القلــوب ســليمةٌ

لتقطعـت أسـفًا مـن الحرمـانِ

لكنها سـكرى بحـب حياتهـا الدّ

نيـا وسـوف تفيـق بعـد زمـانِ

يا غافـلًا عمـا خُلقـتَ لَهُ انتبـه

جَدّ الرحيـلُ فلسـتَ باليقظـانِ

سار الرفـاق وخلفـوك مـع الأُلى

قَنِعوا بذا الحظّ الخسيس الفـاني

ورأيت أكثر مـن تـرى متخلفًـا

فتَبِعْــتَهم ورضِــيت بالحرمــانِ

لَكِن أتيت بخُطَّتَيْ عَجْـز وَجَهْــ

ــلٍ بعـد ذَا وصـحبتَ كلّ أَمَـانِ

منّتك نفسُك باللَّحاق مع القعـو

د عـن المسـير وراحـة الأبـدانِ

ولسوف تعلم حين ينكشف الغِطا

ماذا صـنعت وكنـت ذا إمـكانِ

مــا ههنــا والله مــا يَسْــوَى قُــلَا

مةَ[١] ظفرِ واحـدةٍ تُـرى بجنـانِ

ونَصـيفها خـير مـن الدنيـا ومـا

فيهــا إذا كانــت مــن الأثمــانِ

ما ههنا إلا النَّقـار[٢] وسَـيِّئ الــ

أخلاق مع عيب ومـع نقصـانِ

---

(١) قُلَامة الظُّفْر: ما قُطِعَ من طَرَفه. ولا يُساوي قُلَامةَ ظُفْرٍ: أي هو حقير لا قيمة له.

(٢) أي: النزاع والخصام.

هــــم وغــــم دائــــم لا ينــــتهي
حتى الطلاقِ أو الفـراقِ الثـاني

واللهُ قـد جعـل النسـاء عوانيًـا
شرعًا فأضحى البعل وهو العـاني

لا تــؤثرِ الأدنى على الأعلى فــإنْ
تفعــلْ رجعــتَ بذلــة وهــوانِ

وإذا بَـدَتْ في حُلــةٍ مِــنْ لُبْســها
وتمايلــتْ كتمايــل النَّشــوانِ

تهـتز كالغصـن الرطيـب وحَملـهُ
وردٌ وتفـــــاحٌ على رمـــــانِ

وتبخــترت في مشــيها ويحــق ذا
لك لمثلهـــا في جنـــةِ الحيـــوانِ

OOOOO

فصل

وأما مهور ملكات الحسن والجمال، تلك البدور، العرائس الحور، فهي تقوى الله عز وجل(١)، كما قال سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ * فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ * كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥١-٥٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ * فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ١٧-٢٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣١-٣٣].

وقد سمّى سبحانه الجنة في كتابه الكريم بدار المتقين،

---

(١) ولا يصح ما روي واشتهر من أن «كنس المساجد مهور الحور العين». بل هو موضوع. كما في «السلسلة الضعيفة» (٤١٤٧).

إعلامًا بأنهم هم أصحابها دون غيرهم، فقال تبارك اسمه:

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل: ٣٠-٣١].

وبين سبحانه وتعالى أن الجنة وحورها المطهرات ورضوانه سبحانه أفضل من كل متاع الحياة الدنيا وزينتها الفانية، وأنه سبحانه أعد ذلك كله للمتقين من عباده، فقال تبارك وتعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

فصل

والتقوى هي أن يجعل العبد بينه وبين عذاب الله تعالى حاجزا وواقيًا يقيه منه، وذلك بالإيمان به سبحانه وعمل الصالحات، وهذا هو مهر الحور العين، كما قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾ [النساء:٥٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٢٥].

ووعد سبحانه وتعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بنعيم الجنة في كتابه الكريم أكثر من سبعين مرة، تأكيدًا وبيانًا أنها لا تنال إلا بذلك، فليس لأهل الغرور والغفلة مطمع فيها.

وفي «المدهش» لابن الجوزي[1]: أيها المقصر عن طلب

---

(١) (ص ٤٣٠).

الزاد، كيف تدرك المعالي بغير اجتهاد؟! أين أهل السهر من أهل الرقاد؟! أين الراغبون في الهوى من الزهاد؟!

وفيه[1]: يا هذا، من اجتهد وجَدَّ وَجَدَ، وليس من سهر كمن رقد، والفضائل تحتاج إلى وثبة أسد. كيف ينال الفضائل مستريح البدن؟! سلع المعالي غاليات الثمن، وإن ساومتها فبزهد أويسٍ وفِقه الحسن.

وفيه[2]: لله در أقوام علموا قرب الرحيل فهيئوا آلة السفر، وهُوِّنوا بالدنيا فقَنِعوا منها مما حضر، واستوثقوا بقَفْل التقوى من أذى النطق والنظر.

وفيه[3]: من كان في سجن التقوى فالموت يُطْلِقُه، ومن كان هائمًا في بوادي الهوى فالموت له حبسٌ يُوثِقُه.

وفي «التذكرة» للقرطبي[4]:

---

(١) (ص ٣٠٤).

(٢) (ص ٥١٠).

(٣) (ص ٢٤١).

(٤) (ص ٥٧٤).

يـا خاطـب الحـوراء في خِـدرها
وطالبًـــا ذاك على قَـــدْرها
انهــض بجــد لا تكــن وانيًــا
وجاهــد النفــس على صــبرها
وقــم إذا الليــل بــدا وجهــهُ
وصـم نهـارًا فهـو مـن مهرهـا
فلـــو رأت عينـــاك إقبالهـــا
وقــد بــدت رمانتــا صــدرها
وهي تَمَـــاشى بـــين أترابهـــا
وعِقْدُها يشرق في نحرها
لهـان في نفسـك هـذا الـذي
تــراه في دنيــاك مـــن زهرهــا

وفيها(١):

لهاك النوم عن طلب الأماني
وعن تلـك الأوانـس في الجنـانِ

(١) (ص ٥٧٥).

تعـــيش مخـــلدًا لا مـــوت فيهـــا

وتلهـو في الخيـام مـع الحســانِ

تنبـــه مـــن منامـــك إن خـــيرًا

مـــن النـــوم التهجـــد بـــالقُرَانِ

ولابن القيم:

يا خاطب الحور الحسانِ وطالبًا

لوصـــــالهن بجنـــــة الحيـــــوانِ

لو كنت تدري من خطبت ومن طلبـ

ـتَ بذلت مـا تحـوي مـن الأثمـانِ

أو كنت تـدري أيـن مسـكنها جعلــ

ـتَ السعي منـك لهـا على الأجفـانِ

أسرع وحُـــثَّ الســـيرَ جَهـــدك إنمـــا

مسراك هذا ساعةٌ لزمانِ

فاعشق وحَدِّث بالوصال النفسَ وابـ

ـــذل مهرهــا مــا دمــت ذا إمــكانِ

واجعـــل صـــيامك دون لقياهـــا ويـــو

مَ الوصلِ يومَ الفطرِ من رمضانِ

واجعـــل نعـــوت جمالهـــا الحـــادي وسر

نحـــو الحبيـــب ولســـت بـــالمتواني

فصل

واعلم أنه لا بد من أجل القيام بحق التقوى ـ المتمثلة بالإيمان والعمل الصالح ـ من العلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، علمًا صحيحًا صافيًا، موجبًا لعمل الصالحات، ملزمًا لترك السيئات، داعيًا لاجتناب المحرمات، والشبهات، والبدع المحدثات.

وبحسب إيمان العبد وعلمه وعمله تكون درجته في الجنة بعد رحمة الله عز وجل، وبحسب ذلك تكون لذته في ذلك النعيم الذي لا نفاد له، وبحسب تكميله مراتب الإسلام

والإيمان والإحسان تكمل له مراتبه في الجنان، كما قال ربنا تبارك وتعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ [الأنعام:١٣٢، والأحقاف: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [التوبة: ٢٠].

فدرجة المجاهدين ولذتهم في الجنة ليست كغيرهم.

ودرجة المقربين ونعيمهم ليست كمن دونهم، كما قال الله تعالى بعد أن وصف جنتي المقربين:

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ {الرحمن: ٦٢}.

وقال عن شراب الأبرار: ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ [المطففين:٢٧].

ثم بين سبحانه أن هذا الشراب الذي مزج للأبرار يشربه المقربون خالصًا(١)، فقال بعدها:

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ٢٨].

---

(١) وهذا المعنى ذكره الحافظ في «الفتح» (٣٢١/٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصحح إسناده.

فهذا الاختلاف في الدرجات والنعيم من أجل الاختلاف في درجة الإيمان والعمل الصالح، والنصوص التي تدل عليه أكثر من أن تحصى، وهو ما يقتضيه العدل والحكمة.

ومن رحمته سبحانه وتعالى وعدله أن يعطي كلًّا بحسب جهده، فكما لم يسوّ سبحانه بين أوليائه وأعدائه، كما قال:

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة:١٨].

كذلك لم يسوّ بين أوليائه فيما بينهم، كما قال تعالى:

﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد:١٠].

وعن المِقْدَامِ بن مَعْدِي كَرِبَ قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ [مِنْ دَمِهِ]، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، [وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ]، وَيُوضَعُ عَلَى

رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»(١).

وفي الختام، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وفازوا بأوفر حظ من الحسان الخيرات، وأن يرفع درجاتنا في روضات الجنات، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه

محمد شومان

٣/شعبان/١٤٠٨

(١) أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، واللفظ له، وقال: «حسن صحيح غريب». وابن ماجه (٢٧٩٩)، وأحمد (١٣١/٤)، والزيادتان لهما، وصحح إسناده الألباني في «أحكام الجنائز» (ص ٣٦).